الفصل الرابع
العوامل الكامنة والنظريات المفسرة لسلوك المشاغبة

- مقدمة.
- العوامل والأسباب البيولوجية لسلوك المشاغبة.
- العوامل والأسباب النفسية لسلوك المشاغبة.
- العوامل والأسباب الأسرية لسلوك المشاغبة.
- العوامل والأسباب المدرسية لسلوك المشاغبة.
- العوامل والأسباب الاجتماعية لسلوك المشاغبة.
- المشاغبة ونظرية التحليل النفسي .
- المشاغبة ونظرية التعلم الاجتماعي.
- المشاغبة وفقاً للنموذج النمائي (التطوري).

الفصل الرابع
العوامل الكامنة والنظريات المفسرة لسلوك المشاغبة

- **مقدمة** :

للمشاغبة عدة أسباب وعوامل تسهم بشكل أو بآخر منفردة أو مجتمعة مع بعضها البعض في أن يكون التلميذ إما مشاغبا لأقرانه في البيئة المدرسية أو ضحية لسلوك المشاغبة من قبل أقرانه Peer Victimization، وسوف نتعرض في هذا الفصل لأهم العوامل التي تسهم في سلوك المشاغبة بين التلاميذ في البيئة المدرسية وكذلك بعض وجهات النظر المفسرة لها .

- **العوامل والأسباب البيولوجية لسلوك المشاغبة** :

يتفق العديد من الباحثين إن لك يكن جميعهم على أن القوة والضعف البدني (الجسمي) يلعبان دوراً هاماً في سلوك المشاغبة، وفي الصدد نفسه أكد كل من هوفر وآخرون Hoover et al. (١٩٩١) و أولويس Olweus (١٩٩٦) وهازلر وآخرون Hazler et al. (١٩٩٧) على أن المستويات المتنوعة للنضج والبلوغ هي أمور دالة لسلوك المشاغبة، فالبلوغ مرحلة صعبة بالنسبة للضحايا الواقعين تحت وطأة المشاغبة في المدرسة، نظراً لكونهم أضعف جسدياً من أقرانهم فيكونون بذلك وليمة شهية للمشاغبين.إن الرأي السابق يقودنا للتأكيد على أن الصفات الوراثية تلعب دوراً هاماً في سلوك المشاغبة فبعض التلاميذ في سن المراهقة تحديداً تبدوا عليهم علامات الرجولة والقوة الجسدية بينما بعضهم الآخر ذو جسد هزيل بل ومن الممكن أن يكون مصاباً بإحدى الإعاقات أو المشكلات الجسدية وبالتالي تلعب هذه العوامل البيولوجية دوراً هاماً في المشاغبة إذ تجعل فريقاً من التلاميذ يمتازون بالقوة البدنية وفريقاً آخر يعاني من ضعف البنيان الجسدي وكما نعلم فالمشاغبة تقوم في مجملها على فارق القوة بين المشاغبين والضحايا.

ومع تلك التأكيدات على أن العوامل والأسباب البيولوجية تسهم بدرجة كبيرة في تفشي ظاهرة المشاغبة بين تلاميذ المدارس إلا أننا نرى أن هذا السبب البيولوجي قد يسهم في المشاغبة ولكن ليس بذلك الدور الفعال وإذا أسهم فإنه يظهر لدى التلاميذ الذكور عنه دون الإناث وذلك إذا وضعنا نصب أعيننا الفروق بين الجنسين في النمو الجسدي في مرحلة المراهقة، وعموماً ليس بالضروري أن يكون كل مشاغب ذو بنيان جسدي قوي بل من الممكن أن يكون ضعيف البنية قوي الشخصية، مراوغاً، ماكراً، يجيد مهارات الخبث بدهاء يفوق الآخرين.

- **العوامل والأسباب النفسية لسلوك المشاغبة** :

إن السمة الرئيسية للتلاميذ المشاغبين هي ميلهم الشديد للعدوان تجاه أقرانهم وهذا ما اتفق عليه معظم المنظرين في مجال سلوك المشاغبة بين التلاميذ في البيئة المدرسية. فقد اتفق كل من بسوورث وآخرون Bothworth et al. (١٩٩٩) و ايرلنج وثرمود Erling and Thormod (٢٠٠١) على أن الميل إلى العدوان هو السبب النفسي الرئيس لما يمارسه التلاميذ من سلوكيات عدوانية تجاه زملائهم في المدرسة . وقد يصادف الرأي السابق نوعاً من الصواب إذا ما اعتقدنا بلغة التحليل النفسي أن ميكانزم الإعلاء للغريزة العدوانية لم يعمل بالشكل الصحيح (الضرب المائل للحفزات الغريزية) لدى التلميذ المشاغب وبالتالي فسلوكه هذا ما هو إلا إفراغ للغريزة العدوانية بشكل سلبي. بينما يؤكد أومور Omoor (١٩٩٧) على أن مفهوم الذات Self-concept وتقدير الذات Self- esteem هما العاملان الرئيسان في سلوك المشاغبة، ففقدان الفرد لتقديره لذاته يصنفه إما مشاغباً أو ضحية للمشاغبة. هذا وقد أشار صلاح مخيمر (١٩٦٨) إلى أن الطفل يفقد تقدير الذات حين يفقد الحب ويستعيده حين يستعيد الحب، فالوعد بالإمدادات النرجسية الضرورية من الحب تحت شرط الطاعة والتهديد بسحب هذه الإمدادات إذا لم تتحقق هما سلاح أي سلطة، وبعد ذلك يحدث تمايزاً بين الحاجات النرجسية والحاجات الجنسية، فالحاجات الجنسية تزدهر مع الموضوعات بينما تزدهر الحاجات النرجسية من خلال العلاقة بين الأنا والأنا الأعلى، فكل شعور إثم يخفض تقدير الذات وكل تحقيق للمثل العليا يرفع تقدير الذات ومن هنا فإن جانباً من العلاقة مع الموضوعات يظل خاضعاً لحاجات تقدير الذات. ويتضح ذلك عند الأشخاص المثبتين على هذا المستوى فهم يحتاجون إلى مدد نرجسي من الخارج كيما يحتفظون بتقديرهم لذواتهم.

ومن هنا فهناك العديد من الأنماط التي لا حصر لها فهناك أنماطاً عدوانية يرغب أصحابها في أن ينتزعوا عنوة هذه الضروريات التي يمسكها العالم الخارجي الوغد فيتجسد نتيجة لذلك تلاميذ مشاغبين لأقرانهم في المدرسة يتخذون من سلوكهم هذا سبيلاً لتعويض تقدير الذات المفقود، وآخرون يصبحون ضحايا للمشاغبة إذ أنهم يتخذون من الإذعان وإظهار المعاناة الدائمة وسيلة أيضاً لتعويض فقدانهم لتقدير الذات، وهناك أشخاص يحاولون تعويض فقدانهم لتقدير الذات عن طريق الجمع بين الأسلوبين في وقت واحد فيتشكل لدينا ما يعرف بالمشاغب / الضحية. ومن ناحية أخرى تلعب السادية والامباثية (التعاطف) دوراً هاما في سلوك المشاغبة، فالتلميذ المشاغب لديه حاجة قوية وملحة للسلطة والسيادة والهيمنة، فالمشاغبون عموماً يستمتعون ويتلذذون بإيذاء الآخرين وقهرهم، فهم لا يتعاطفون مع ضحاياهم كما أنهم غير متزنين انفعالياً.أما ضحايا المشاغبة فيتصفون بالأمزجة الخجولة أو الضعيفة وعم يظهرون مستويات مرتفعة جداً من القلق، هم في الأصل خجولين جداً، هادئون بطبعهم حساسون لأتفه الأمور ويظهرون مركز تحكم خارجي، فيشعرون كما أن هناك قوى خارجية تسيطر عليهم وتتحكم فيهم، وهذا المركز الخارجي للتحكم مع الشعور بالعجز وقلة الحيلة يؤدي إلى ما يسميه سيلجمان Seligman (١٩٨٣) بالعجز المتعلم، فضحايا المشاغبة عندما يهاجمهم الآخرون فإنهم يستجيبون بالبكاء (خاصة الأعمار الصغيرة منهم) أو الانسحاب. ومن الجدير بالذكر هنا أن المخطط المعرفي لضحايا المشاغبة كما أكد العديد من الباحثين مثل أولويس Olweus

(١٩٩٦) يشتمل على صورة سلبية عن الذات، أي أن لديهم رأياً سلبياً عن أنفسهم فهم يعاقبون أنفسهم من خلال استخدام أسلوب حديث الذات السلبي. ونظراً لأن ضحايا سلوك المشاغبة صورتهم الذهنية عن أنفسهم أنهم فاشلون، فهم يعتقدون أن الآخرين دائماً هم أفضل منهم ولديهم القدرة على التعامل مع كل المواقف بصورة وطريقة أفضل منهم. وبعكس الضحايا فالتلاميذ المشاغبون يدركون أنفسهم على أن لديهم القدرة على السيطرة على أنفسهم ولا يؤمنون إلا باعتقاد واحد وهو أن هناك نوعين من الناس، نوع لابد أن يسيطر على الآخرين ونوع آخر لابد وأن يخضع للآخرين، فيرى المشاغبون سلوكهم من منظور متمركز حول الأنا وفي الغالب يشعرون أن الضحية قد استحق المشاغبة زاعمين بأنه قد طلب ذلك. كما أن هناك شيء من التشوه في أنماط تفكير المشاغبين فنجدهم دوما يميلون إلى افتراض أن الآخرين لديهم نوايا عدائية لهم ويتربصون بهم. ويوصف أسلوب تفكير المشاغب بأنه غير ناضج وأحادي الجانب.

ومما تقدم يمكننا القول إن محاولة رسم بروفيل لشخصية المشاغب والضحية يقودنا إلى التسليم بأن خللا نفسياً ما يعتري الشخصيتين وان كانت كل شخصية منهما هي نقيض الآخر إلا أنهما يجتمعان في انخفاض تقدير الذات وارتفاع مستوى القلق علاوة على أن هناك تشوهاً معرفياً يجتاح تفكير الشخصيتين. وهنا لابد لنا من وقفة تساؤلية فهل الأمر قد تجاوز مرحلة وصف المشاغبة بأنها مشكلة سلوكية ليس أكثر ليصل إلى مرحلة البحث عن ما إذا كان الأمر مرضياً ؟ فما حال إنسان يتلذذ بإيلام الآخرين ؟ وما حال إنسان يشعر دائماً أن الآخرين يبيتون له نوايا عدوانية و يضطهدونه ؟ هل بات الأمر يفرض علينا أن نضع أمام أعيننا مصطلحات خطيرة كالذهانية والعصابية ؟ إن الأمر يتطلب مزيداً من البحث المتعمق في ظل نتائج الدراسة التي قام بها هيلين وستيفن Helen and Stephen (١٩٩٧) والتي أجريت على عينة بلغ قوامها ٣٥٢ مراهقاً و ٤١١ مرهقة وأفادت نتائجها أن التلاميذ المشاغبين قد حصلوا على درجات مرتفعة جداً على مقياسي العصابية والذهانية .

- **العوامل والأسباب الأسرية لسلوك المشاغبة :**

مما لا شك فيه أن الأسرة هي البيئة الاجتماعية الأولى التي تشكل شخصية أبنائنا، فأبناؤنا من إنتاجنا وهم صناعتنا اليدوية، يقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم (ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) (حديث شريف).

إن النماذج العدوانية في المنزل وضعف الرقابة الوالدية تسهم بشكل كبير في كون التلميذ مشاغباً لأقرانه في المدرسة، فالمنازل التي يتفشى فيها العقاب البدني والتسلط الأبوي والإساءة في المعاملة بوجه عام تنتج أطفالاً عدوانيين بطبعهم مشاغبين لزملائهم يتعلمون أن العنف هو الوسيلة المثلى للبقاء. فالمشاغبون لأقرانهم في البيئة المدرسية هم تلاميذ نتاج ومخرجات لأنظمة اجتماعية (أسرية) تقوم دعائمها على أسس فظة عنوانها الصراع الأسري، وفي هذا اتفق العديد من الباحثين على أن التلاميذ المشاغبون يعانون بصورة متكررة نماذجاً من أساليب المعاملة الوالدية السلبية المتمثلة في القسوة والعقاب والرفض والإهمال، يفتقدون إلى الدفء

الوالدي ويعيشون أجواء أسرية قاسية يسودها العنف والإساءة والتسلط الأبوي، والمراهق يحمل في طيات نفسه رواسب طفولته وغالباً ما تكون هذه الراوسب قوية وراسخة في أعماقه خاصة أن مرحلة المراهقة تعد مرحلة التحول في حياة الإنسان، فالمراهق المشاغب هو سفير لأبوين مشاغبين وعنيفين. فكما أكد مخيمر (١٩٨٦) فالمراهقة هي الميلاد الحقيقي للفرد، ففي المراهقة يعي المراهق وجوده بشكل مكتمل وكل ما سبق المراهقة ماهو إلا امتداد لوجود آخر هو وجود الأبوين، وجود الجيل السابق، فوجود الأبوين يواصل الحياة في هذا الكائن الجديد الذي لم يصبح كياناً بعد والذي لن يبلغ إلى ذلك إلا في اللحظة التي يعيش فيها وجوده في صورته المكتملة المليئة، يعيش فيها وحدته الكلية ومن هنا فإن انتفاضة البزوغ للكيان الجديد تكون في نفس الوقت انتفاضة في وجه جيل الآباء بقدر ماهي انتفاضة في وجه ماضيه السابق على المراهقة. وكما أشار هشام الخولي (٢٠٠٤) فالمشاغب والضحية للمشاغبة هم موجودات في ذاتها وماهيات سابقة على وجودها، وكيانات فارغة، فكلاهما لم تكتمل لديه انتفاضة البزوغ، فهي مبتورة عند المشاغب وغير موجودة عند الضحية فكلاهما لم ينتقل من الأسلوب السالب في توكيد الذات إلى الأسلوب الموجب، فالمشاغب يتجه بسلبيته إلى العالم الخارجي بينما يتجه الضحية بسلبيته إلى ذاته. ومن هنا فإن خبرات الطفولة المؤلمة كما أكد كلارك وآخرون Clark et al. (١٩٨٩) والتي تتسم بعدم الشعور بالأمن والتهديد تجعل الفرد يكون صيغة سلبية إجمالية عن الذات، فالظروف الضاغطة في علاقة الطفل بوالديه (كالحرمان من الحب والنبذ وعدم التقبل) تجعل الفرد يشعر بعدم الأمن وعد الثقة الذي يؤدي في نهاية المطاف إلى انخفاض حاد في تقدير الذات ومن هنا فالتلاميذ المشاغبون إنما يعانون تقدير الذات المنخفض نتيجة وجودهم في هذه الأسر التي تتسم بالعدوانية في أسلوبها والقسوة في تعاملاتها.

- **العوامل والأسباب المدرسية لسلوك المشاغبة** :

مما لاشك فيه أن المعلم يسهم في تكامل البناء العقلي والجسمي والعاطفي والاجتماعي للمتعلم من خلال العملية التربوية التي يؤديها داخل المدرسة، وقد يرى بعضهم أن عمل المعلم ووظيفته تنحصر في قيامه بالوقوف في تلك الغرفة التي تسمى حجرة الصف الدراسي لنقل ذلك الكم الهائل من المعلومات والمعارف المتضمنة فيما يعرف بالمنهج المدرسي المقرر إلى مجموعة من التلاميذ. وقد يتطلب ذلك معاقبة هذا التلميذ أو ذاك لأنه أعاق تأديته لعمله أو قصر في أداء واجبه كما قد يتطلب اختبار التلاميذ فيما حصلوا عليه من معلومات ألقاها عليهم معلمهم، والنظرة إلى عمل المعلم بهذا المنظور الضيق يتنافى مع الدور المهم والكبير للمعلم والذي يجعلنا نطالع كثيراً من المنظرين يصفونه بصفات متعددة كالمنظم والقدوة والقائد والمرشد وغير ذلك. وعلى الرغم من أن المعلمين هم جماعة كبيرة ومتنوعة لهم ميول وأساليب وأمزجة وفلسفات مختلفة إلا أن جميعهم يدخلون هذه المهنة لأنهم يريدون إحداث تغيير في المجتمع فيرتبطون بشكل جيد بالتلاميذ وينهمكون في العملية التعليمية. فالمعلم كما رأى سيد عثمان (١٩٧٠) هو المركز الايجابي الفعال الذي يتلقى عنده كل النظم التعليمية والتربوية الموضوعة من حيث المعرفة وتنظيم المادة الدراسية والألفة لطلابه في الصف الدراسي حيث يؤثر في سلوكهم وإنجازهم الأكاديمي. والمعلم في المدرسة يلعب دوراً رئيسياً في تشكيل جوانب الشخصية المختلفة

لتلاميذه وهذا يدفعنا إلى حتمية وضرورة الإعداد الجيد للمعلم إذ أن اتجاهاته تنعكس على طلابه علماً بأن هذه الاتجاهات ماهي إلا تنظيمات نفسية يكتسبها من خلال خبراته التي يمر بها في حياته وتحدد له بصفة مستمرة أساليب تعامله مع طلابه. وكما يؤكد أشرف عبدالقادر(١٩٨٩) فإن بعض الفصول المدرسية نلاحظها تعكس جواً مرحاً والبعض الآخر جواً من التوتر والعدوان وإذا تسائلنا عن السبب لن نجد الإجابة على ذلك سهلة ميسرة، فقد يكون الجو نتاج الأشياء المادية المحيطة وعدد التلاميذ وغير ذلك، غير أن العامل الرئيس يرجع أساسا إلى الطريقة التي يتعامل بها المعلم مع تلاميذه أي أسلوب المعلم داخل الفصل . وأسلوب المعلم في الفصل الدراسي كما رآه إسماعيل بدر (١٩٩٥) هو كل ما يصدر عن المعلم في الفصل المدرسي من سلوك متمثلاً في الأبعاد التالية :

- قيادة الفصل : ويقصد به سلوك المعلم في توجيه طلابه داخل الفصل بأسلوب غير مباشر والابتعاد عن التوبيخ مع الإبقاء على روح الاحترام المتبادل بين الطلاب.
- طبيعة جو الفصل : ويقصد به سلوك المعلم في احترام الطلاب وفي جعل الفصل يسوده العدل والمساواة بين الطلاب وأن يكون جو الفصل يسوده المرح والتعاون.
- الاهتمام بالميول وحاجات الطلاب : ويقصد به سلوك المعلم في الاهتمام بمشاكل الطلاب الدراسية والشخصية وتشجيع التصرفات الايجابية في سلوك الطالب.

وسلوك المعلم داخل الفصل الدراسي يتأثر بكل من خصائص المدرسة التي يعمل بها وخصائصه الشخصية والنفسية، فموقع المدرسة الجغرافي وكثافة التلاميذ بها والمنهج الدراسي المقرر ونظام الإدارة في المدرسة والبرامج والاستراتيجيات الاجتماعية المطبقة بها والتي يعتبر المعلم مسؤلاً عنها كلها عوامل تؤثر على سلوك المعلم . وتتفق جميع الآراء حول أهمية تأثير سلوك المعلم داخل المدرسة عموماً وداخل الصف الدراسي خصوصاً على سلوك المشاغبة، إذ يعتبر سلوك المعلم في كثير من الأحيان باعثاً لسلوك المشاغبة بين التلاميذ في غرفة الصف الدراسي. فسلوك المعلم يحدد بشكل كبير جدا مدى انتشار ظاهرة سلوك المشاغبة بين التلاميذ في المدرسة، إذ أن تسامح المعلم مع التلاميذ المشاغبين بل وربما تأييده لهم بقصد أو بدون قصد يسهم بشكل كبير في انتعاش المشاغبة بين التلاميذ، فالمعلم داخل الفصل الدراسي لديه سلطة كبيرة تمكنه من الحد من ظاهرة سلوك المشاغبة وتتمثل هذه السلطة في أسلوب قيادته للصف وإدارته للحوار بينه وبين تلاميذه، إذ ينبغي على المعلم وضع نظام وقواعد بينه وبين التلاميذ تمنع وتحد من انتشار ظاهرة سلوك المشاغبة بين التلاميذ في البيئة المدرسية. وفي ذلك يؤكد العديد من الباحثين والمنظرين في مجال الدراسات المتعلقة بظاهرة المشاغبة على أن بعض المعلمين هم معلمون مشاغبون، فعندما يستخدم المعلم سلطته الإدارية وقوته الجسدية في عقاب تلاميذه أو في دفعهم أو في التعامل معهم بشكل عام، فإنه بذلك يكون معلماً مشاغباً ومحرضاً لسياسة العدوان في البيئة المدرسية، والمعلم المشاغب هو الذي دائماً يرفض النقاش مع تلاميذه ولا يحترم آرائهم ولا يقدر ميولهم واتجاهاتهم.

وأكد كيث وآخرون keith et al. (٢٠٠٤) على أن هناك أنماطاً من المعلمين يسهمون بدرجة كبيرة من خلال سلوكياتهم في نشر ثقافة المشاغبة داخل المدرسة ومن هذه الأنماط المعلم المتسلط وهو الذي يقوم بصياغة سلوك المشاغبة من خلال تكوين وإدارة حجرة دراسة مبنية على الأوتوقراطية. وكذلك المعلم النرجسي وهو الذي يحب لفت الأنظار إليه بأي وسيلة كانت. وبالإضافة إلى الأنماط السابقة يوجد المعلم المشاغب وهو معلم دائم السخرية من تلاميذه ودائماً ما يقلل من شأنهم ولا يكون سلوكه هذا إلا بهدف جعل أحد التلاميذ كبش فداء بل جعله ضحية . إن المعلم أنموذج يمكن أن يساعد على تحول المراهق من السلبية إلى الايجابية وإما أن يبقى على سلبيته، وفي هذا الصدد أكد إسماعيل بدر (١٩٩٥) على أن المعلم الذي يتسم سلوكه بالحنو والمرونة والتسامح والاهتمام بالطلاب، والمعلم الذي ينظم وقت عمله ويعطي أولوية للدقة والإتقان، والمعلم الذي يقود فصله بالحزم وليست السيطرة، والمعلم الذي يشجع طلابه على النجاح ويحدد مواطن القوة والضعف من شخصيتهم، هؤلاء هم المعلمون الذين يؤثرون تأثيراً ايجابياً في الطلاب. ومن هنا فالمعلم الذي يوبخ تلاميذه ويسخر منهم ويكون دكتاتورياً متسلطاً لا يعرف إلا العصا لمن عصى، لا يهتم بميول الطلاب وحاجاتهم ويكون شغله الشاغل كيف ينتهي من هذا الدرس أو هذه المادة، المعلم الذي يكون محوره الرئيسي في التعامل مع تلاميذه هو القسوة والإهمال والإذلال، يخلق في نفوس تلاميذه كراهية جمة تجاه هذا العالم الخارجي، فيتعلم تلاميذه أن القسوة والمهانة والإيذاء هم سبل السيطرة على الآخرين، وبالتالي وكنتيجة طبيعية لذلك يتولد لدينا أجيال وأجيال من المشاغبين والمتمردين والعاصيين، فكم من تلميذ هو ضحية لمعلمه، وكم من ذوي صعوبة تعليمية هو نتاج معلم بعيد كل البعد من أن يلقب بهذا اللقب.

إن تنفيذ الموقف الصفي الناجح يتطلب من المعلم أن يتصف بعدة صفات وخصائص يأتي في مقدمتها أن يكون المعلم ذكياً سريع البديهة ذو قدرة على التصرف الحكيم في المواقف الطارئة التي قد تعترضه أثناء عمله، وأن يتسم بدقة الملاحظة ليتمكن من التعرف على المصاعب التي يعاني منها تلميذه بدءاً من صعوبات التحصيل العلمي وانتهاءً بما يمكن أن يتعرض له من مخالفات سلوكية. وللمعلم في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، فقد كان أفضل الصلاة والسلام مربياً عظيماً ذا أسلوب تربوي فذ يراعي حاجات الطفولة وطبيعتها ويأمر بمخاطبة الناس على قدر عقولهم ويراعي الفروق الفردية بينهم كما يراعي مواهبهم واستعداداتهم، والمعلم الناجح يأخذ هذه المسائل بعين الاعتبار فيرعى التلميذ الضعيف ليعالج ضعفه ويتابع التلميذ الموهوب لصقل موهبته ومساعدته في رسم خططه لمستقبله. وبوجه عام، فإن زيادة عزلة المدرسة وعدم اهتمامها بظاهرة سلوك المشاغبة يؤدي إلى احتمالية حدوث المشاغبة بين التلاميذ بعضهم لبعض وبين التلاميذ ومعلميهم، فكلما زادت حدة مشاجرات التلاميذ مع معلميهم وكانت العلاقة التي تجمع التلاميذ بالمدرسة علاقة سلبية كلما زادت احتمالية تفشي ظاهرة سلوك المشاغبة في المدرسة .

- **العوامل والأسباب الاجتماعية لسلوك المشاغبة** :

مما لاشك فيه أن المشاغبة هي مشكلة لا تظهر إلا في الوسط الاجتماعي، فدراسات المشاغبة لا تتناول إلا العلاقات التي يكون فيها تفاعل اجتماعي (مع التسليم بأن الإنسان كائن اجتماعي لا يعيش بمعزل عن الآخرين)، ومن هنا نجد دراسات تبحث عن ظاهرة سلوك المشاغبة في البيئة المدرسية وأخرى تتناول المشاغبة في أماكن العمل وغير ذلك من البيئات الاجتماعية الأخرى. وتعد جماعة الأقران إحدى العوامل المسببة لظاهرة سلوك المشاغبة في البيئة المدرسية، فدور الأقران يفوق في كثير من الأحيان دور الأسرة التي تشكل شخصية أبنائها، فكثير من الأبناء يدركون وجود فجوة نفسية عميقة بينهم وبين آبائهم فيلجأون إلى تكوين ما يعرف بالشلة، التي يكون لها سياسة واضحة وأسلوب آخر مختلف في التعامل مع العالم الخارجي، ويتأثر التلاميذ بدرجة كبيرة جداً بمجوعة الأقران المحيطة بهم وخاصة المراهقين منهم فيكتسبون سلوكياتها وأهدافها ويقعون تحت وطأتها فيؤثرون فيها ويتأثرون بها لينتج ما يعرف بضغوط الأقران Peer Pressure والتي تؤثر بشكل قوي جدا على تصرفات التلاميذ المراهقين وسلوكياتهم.

وتلعب بيئة الأقران دوراً هاماً ومحورياً في تنظيم سلوكيات الأفراد صغاراً كانو أم كباراً لما تتضمنه من علاقات اجتماعية متنوعة فهي التي تمهد الطريق لاكتساب ما يعرف بالدعم الاجتماعي والمكانة الاجتماعية، فعندما يكتسب فردا ما تلك المكانة الاجتماعية من مجموعة أقرانه يشعر أنه ذو قيمة وسلطة ونفوذ وبالتالي يحاول من خلال مشاغبة الآخرين غير المنتمين إلى مجموعة أقرانه الحفاظ على هذه المكانة التي يحظى بها وهو بداخله يؤمن بأن مجموعة رفاقه ستشكل دروعاً بشرية له تحميه من أي تدخلات خارجية كرد فعل لسلوكه الايذائي. كما تلعب المهارات الاجتماعية في التعامل مع الآخرين دورا هاما في سلوك المشاغبة، فالتلاميذ ضحايا المشاغبة يظهرون مهارات اجتماعية ضعيفة لذلك فهم دائماً بمفردهم، وحيدون، منعزلون، ليس لديهم أصدقاء، أما المشاغبون فهم يتمتعون بمكانة وشعبية اجتماعية بين زملائهم، محبوبون، لديهم مهارات المراوغة والدهاء ومع ذلك فهم يفتقدون المهارات الاجتماعية الايجابية .

- **المشاغبة و نظرية التحليل النفسي (نظرة سيكوديناميه) :**

يعتبر فرويد رائداً لمدرسة التحليل النفسي، وقد نشأ التحليل النفسي ضمن أطر الطب النفسي، فكان منهاجاً متميزاً في علاج العصابين ولكنه سرعان ما أصبح نظرية سيكولوجية شاملة عن الإنسان، فلقد قام التحليل النفسي بدراسة العناصر الطبيعية للكائن البشري من ناحية والكشف عن ميول الإنسان النفسية وعالمه الداخلي ومغزى السلوك البشري من ناحية أخرى. وفي ضوء نظرية التحليل النفسي يذكر سامي محمود وعبدالسلام القماش (١٩٩٨) أنه كراسب من رواسب الطفولة الطويلة التي يعيش فيها الإنسان الناشىء معتمداً على والديه تتكون في الأنا منظمة خاصة يمتد فيها تأثير الوالدين يطلق عليها الأنا الأعلى، وبقدر ما ينفصل هذا الأنا الأعلى عن الأنا أو يعارضه، فهو يكون قوة ثالثة ينبغي على الأنا أن يعمل لها حسابها. فالابن كما رأى وولف Wolfe (١٩٩٩) هو صنيعة الوالدين أي أن أسلوب الحياة الذي يعيشه الفرد منذ بداية حياته أي في طفولته له دور كبير في تحديد شخصيته المستقبلية لما لهذا الأسلوب من

دور في تحديد كيفية استثمار طاقته النفسية وتوجيهها في الاتجاه الذي يريده. ومن هنا فإن الأنا الأعلى (أحد مكونات الجهاز النفسي) وهو الذي يضطلع بسلطة الوظيفة الوالدية وأهدافها بل وأساليبها ليس مجرد وصي على نفوذ الوالدين بل إنه وريث هذا النفوذ بالفعل. إن عملية تحول الوظيفة الوالدية إلى الأنا الأعلى للطفل عملية أساسها ما نسميه " التقمص أو التوحد " ونعني بهذا أن يصبح الأنا على شاكلة أنا آخر، بحيث يتصرف الأنا الأول من بعض الوجوه بنفس الطريقة التي يسلك بها الأنا الثاني فيحاكيه أو كأنه يسيغه في نفسه.

وفي ضوء تلك المفاهيم السابقة التي تقوم عليها نظرية التحليل النفسي يمكننا أن نفسر ظاهرة سلوك المشاغبة وفقاً لما تسميه سامية القطان (١٩٧٩) بالإستدخال (التوحد) ونعتمد في ذلك على ما توصلت إليه العديد من دراسات المشاغبة والمتمثلة في أن التلميذ المشاغب يعيش حياة أسرية قاسية فهو صنيعة أب وأم يمارسون عليه ألواناً من العقاب والإساءة، وهو نتاج حياة أسرية تحوي نماذج عدوانية، أب يمارس العنف والإساءة تجاه أبنائه وزوجته، وبالتالي يتوحد الطفل مع أبيه ويستدخله بداخله باعتباره معتدياً عليه ويكون سلوكه المشاغب ما هو إلا توحداً مع نموذج والدي تسيطر عليه القوة والنفوذ وفرض السيطرة على الآخرين. ولما كان الإسقاط وهو حيلة لا شعورية من حيل دفاع الأنا بمقتضاها ينسب الشخص إلى غيره ميولاً وأفكاراً مستمدة من خبرته الذاتية يرفض الاعتراف بها لما تسببه من ألم وما تثيره من مشاعر ذنب، فالإسقاط بهذه المثابة وسيلة للكبت أي أسلوب لاستبعاد العناصر النفسية المؤلمة عن حيز الشعور، والعناصر التي يتناولها الإسقاط يدركها الشخص ثانية بوصفها موضوعات خارجية منقطعة الصلة بالخبرة الذاتية الصادرة عنه أصلاً، ولذلك يمكننا تفسير سلوك المشاغبة أيضاً وفقا لميكانزم دفاعي آخر وهو الإسقاط، فقد يلجأ الأنا إلى إخراج الدفاعات العدوانية مثلاً أو تهديدات ضمير (الإسقاط) بأن ينسبها للعالم الخارجي أو أشخاص بعينهم، فبدلاً من أن نعترف بأننا نكره شخصاً ما فإننا ننسب الكراهية للشخص هذا. ونستند في تفسيرنا السابق على ما أكده العديد من الباحثين بشأن أن هناك شيء من التشوه يعتري تفكير الأشخاص المشاغبين بوجه عام، فالمشاغب لأقرانه سواء أكان تلميذا في مدرسة أو فرداً في مؤسسة يميل دوماً إلى افتراض أن الآخرين لديهم نوايا عدائية تجاهه، وهم دائماً ما يتربصون به، وما يزيد الأمر شيئاً من الصحة هو تلك العبارة الشهيرة التي يقولها المشاغب والتي تنص على(أنا غير مسئول... الضحية هو الذي قام باستفزازي وهو البادىء بالفعل ولذلك يستحق ما حدث له) .

وإذا كنا في المحاولات التفسيرية السابقة لسلوك المشاغبة اعتمدنا على ميكانزمي دفاع وهما التوحد والإسقاط لمحاولة الوصول إلى تفسير يخص سلوك التلميذ أو الشخص المشاغب بوجه عام فمن الجدير بالذكر هنا أن نتساءل عن حال هؤلاء التلاميذ المصنفين على أنهم مشاغبين وضحايا في نفس الوقت. وفي ذلك نقول أن ميكانزم الإزاحة كأحد الميكانزمات الدفاعية اللاشعورية يلعب دور كبير في سلوك المشاغب / الضحية، فالضحية الذي يتعرض لفترات طويلة من المشاغبة والوقع كفريسة لأقرانه لا يلبث إلا ويزيح هذا الفعل إلى الآخرين حينما تسمح له الفرصة لذلك، وبالتالي فسلوكه هذا ما هو إلا إزاحة لما يتعرض له من قبل الآخرين. وطالما

أن القوة (جسدية أو نفسية) هي أحد الركائز الأساسية لسلوك المشاغبة فثمة نقطة هامة جداً ينبغي التنويه إليها وهي دينامية القوة، وفي ذلك ذكرت سامية القطان (١٩٧٩) أن مفهوم الاقتصاديات النفسية يعني كمية الطاقة النفسية التي تعتبر ثابتة عند الفرد والتي تختلف باختلاف الحيلة، هذه الطاقة يضيع بعضها عند الفرد في صورة مكبوتات ويضيع بعضها الآخر في صورة دفاعات وتكون الطاقة المتبقية تحت تصرف الجانب الشعوري وقبل الشعوري من الأنا معياراً لقوة هذه الأنا، فبقدر ما تكون الطاقة المتبقية كبيرة في كميتها تكون الأنا قوية في وجه المنظمتين الآخرين وبالتالي تكون الشخصية قوية. فالمشاغبة بأكملها تدور حول نقطة هامة وهي القوة، فالمشاغب في سعي دائم لإظهار القوة والتي تم ذكرها سابقاً وتم الإشارة إلى أنها قد تكون قوة نفسية، فهل المشاغب يظهر هذه القوة الموجودة لديه فعلا أم أنه بسلوكه هذا يكون في سعي دائم للبحث عنها ؟. ويتفق بعض الباحثين والمهتمين بمجال المشاغبة على أن سلوك المشاغبة هو نتيجة حتمية للفروق الكامنة بين الأفراد، فالأفراد جميعاً أثناء مراحل نموهم يمرون بمجموعة خبرات انفعالية تجعلهم متمايزين من الناحية النفسية والجسدية، هذا التمايز بين الأفراد يتضح في وجود تلميذ مشاغب وآخر ضحية، تلميذ تقديره لذاته قوي وآخر يفتقد التقدير الموجب للذات، تلميذ يتمتع بمهارات اجتماعية وآخر تنقصه التوكيدية، كل هذه الفروق بين الأفراد تجعلهم مشاغبين أو ضحايا للمشاغبة، ولا نقصد بان كل تلميذ يعاني من تقدير الذات المنخفض سيكون ضحية لسلوك المشاغبة في المدرسة، ولكن تظل الظروف الاجتماعية المحيطة هي التي قد تجعله مشاغب وليس ضحية. ومن هنا فالمشاغبة نتيجة حتمية لهذه الفروق الموجودة بين الأفراد، وهذه الفروق تكونت نتيجة مجموعة من العوامل (عوامل أسرية – خبرات إساءة – اختلال وظيفي في النمو) ينبغي النظر إليها في المقام الأول حتى يتسنى لنا الوصول إلى تفسير أعمق يخص ظاهرة سلوك المشاغبة. وإذا كنا قد تناولنا فيما سبق محاولات تفسيرية لسلوك المشاغبة من وجهة نظر فرويد والتحليل النفسي فثمة نقطة هامة ينبغي التعرض لها أيضاً في هذا المقام وهي تفسير المشاغبة في ضوء ما يعرف بالنظرية النفس اجتماعية ويمثلها كل من " أدلرAdler" و" هورنيHorny " و " فروم From " و " سوليفان Sullivan " وقد اهتم أدلر بأنواع المؤثرات المبكرة التي تعد الطفل لاتخاذ أسلوب خاطىء في الحياة وقد اكتشف ثلاث عوامل هامة هي :

- أطفال يعانون من مشاعر النقص .
- أطفال مدللون .
- أطفال مهملون .

وفي هذا الصدد أكد السيد عبدالعزيز (١٩٩٤) على أن الأطفال المدللون والمهملون لا ينمو لديهم شعور اجتماعي وبالتالي يصبحون طغاة يتوقعون من المجتمع أن يمتثل لرغباتهم المتمركزة حول ذواتهم ومثل هؤلاء الأطفال لديهم إمكانية بأن يكونوا أخطر طبقة في المجتمع. كما أن إهمال الطفل له عواقب غير حميدة فالأطفال الذين يعاملون معاملة سيئة في طفولتهم يصبحون عند الرشد أعداء للمجتمع ويسيطر على أسلوب حياتهم الحاجة إلى الانتقام وأن التدليل والإهمال يؤدي إلى تكوين مفاهيم وتصورات خاطئة عن العالم وتؤدي إلى أسلوب حياة مرضي.

ولقد توصل هشام الخولي (٢٠٠٤) في دراسته التفسيرية والتنبؤية لسلوك المشاغبة إلى أن أساليب الأب السلبية في المعاملة مع الأبناء وخاصة أسلوب الإهمال والتذبذب في المعاملة هي أكثر الأساليب إسهاما، بمعنى أنه يمكن استخدامها في التنبؤ بسلوك المشاغبة لدى الأبناء كما أن أسلوبي القسوة والرفض من قبل الوالدين هما أكثر الأساليب إسهاما في التنبؤ بسلوك المشاغبة لدى الأبناء في سن المدرسة المتوسطة .

- **المشاغبة و نظرية التعلم الاجتماعي** :

تعتبر المدرسة السلوكية توجه نظري قائم على مبدأ أن علم النفس العلمي يجب أن يدرس السلوك القابل للملاحظة، وقد اقترح " واطسن " في عام ١٩١٣ على علماء النفس أن يتركوا للأبد دراسة الوعي والخبرات الشعورية والتركيز فقط على السلوكيات التي نستطيع ملاحظتها وقياسها بشكل مباشر، وقد تمسك بهذا المبدأ بناء على اقتناعه بأن قوة الطريقة العلمية قائمة على كونها قابلة للفحص، وترى المدرسة السلوكية بوجه عام السلوك على أنه أي استجابة أو نشاط قابل للملاحظة، وبالرغم من الجدل والمناقشات التي أثارتها أفكار " واطسن " إلا أن المدرسة ثبت أقوالها وازدهرت ومما ساعد في تطور هذه المدرسة هي دراسات عالم الفسيولوجيا الروسي "بافلوف" والذي استطاع في تجاربه أن يدرب أو يعلم الكلب على سيلان لعابه عند سماعه رنين الجرس. والكثير من علماء علم النفس الاجتماعي كما أكد كمال مرسي (١٩٨٥) يرون أن سلوكيات العنف والعدوان والإساءة سلوكيات متعلمة، وأوضحوا ذلك في تفسيرهم للتعريف الإجرائي للعنف وتعلم العنف بالملاحظة، فمن التعريف الإجرائي للعنف يفترض " سكنر " أن الإنسان يتعلم السلوك من الثواب والعقاب وإنه يميل إلى تكرار السلوك الذي يثاب عليه ويقلع عن السلوك الذي يعاقب عليه وأن ما ينطبق على أي سلوك ينطبق على السلوك العنيف. وكما نعلم جميعاً فإن هناك ما يسمى بتعلم العنف بالملاحظة ويرى أصحاب هذا الرأي أن الإنسان يتعلم الكثير من سلوكه من خلال مشاهدة هذا السلوك لدى غيره ويسجل ما يشاهده في عقله على شكل أحداث حسية واستجابات رمزية يستخدمها بعد ذلك في المواقف المتشابهة، فالسلوك العدواني متعلم شأنه شأن بقية أنواع السلوك الأخرى وأن البشر لا يولدون مزودين بالكثير من الاستجابات العدوانية ذلك أن هذه الاستجابات تكتسب بنفس الطريقة التي يكتسب بها معظم أشكال السلوك الأخرى.

فالسلوك الإنساني كما أكد باندورا Bandora (١٩٨٩) ماهو إلا نتاج تفاعل عاملين رئيسين هما : التأثيرات البيئية وخصائص الإنسان الطبيعية من حيث ميوله ونزعاته الداخلية. فالتعلم يكون نتيجة التفاعل الاجتماعي فالأشخاص يتعلمون كيف يسيئون إلى الآخرين بنفس الطريقة التي يتعلمون بها أنماط السلوك الأخرى، وأن عملية التعلم تتم داخل الأسرة سواء في الثقافة الفرعية أو في الثقافة ككل، والطفل يكتسب سلوكه من خلال المحاكاة والإثابة للقيام بسلوك معين أو التشجيع بشكل مباشر ويتعلم كيف يكون عدوانياً من خلال ملاحظة السلوك العدواني في أسرته ومن خلال المجتمع الذي يعيش فيه. ومن الجدير بالذكر هنا الإشارة إلى تلك الفكرة التي أكدها باندورا Bandora (٢٠٠١) والمتعلقة بما يسمى بالقوة الإنسانية Human

Agency و القوة الجماعية Collective Agency والتي تنص على أن الأشخاص لديهم اعتقاد متعلم وهو أن القوة والقدرة Power هما الوسيلة المثلى للحصول على النتائج والتطلعات. وهذا يفسر لنا حقيقة هامة اتفق عليها المهتمين بمجال بحوث المشاغبة وهي أن التلاميذ المراهقون المشاغبون لأقرانهم في البيئة المدرسية هم تلاميذ يعتقدون في داخلهم على المستوى المعرفي نتيجة لتعلمهم أن النموذج الأمثل للتعامل مع الأقران لا بد وان يشتمل على سلوكيات عدوانية تكون دليلا على القوة، وبالتالي فالمشاغبة هي فكر راسخ في ذهن المراهق اعتقاداً منه أنه الأسلوب الطبيعي والأمثل للتعامل مع الأقران في المدرسة. ومما تقدم يمكننا القول أن سلوك المشاغبة هو سلوك متعلم يتعلمه التلميذ من منزله وأسرته ومن أقرانه ومن الوسط الاجتماعي بشكل عام، فالتلميذ في أسرته يرى نماذج عدوانية كثيرة، ويتعرض الى إساءات متعددة وهذا ما أكدته العديد من الدراسات، ويتعلمه من أقرانه في المدرسة وهذا ما يفسر لنا أيضاً طبيعة التلميذ المشاغب/الضحية، كما يتعلم (بضم الميم وفتح التاء والعين) سلوك المشاغبة من خلال ما يشاهده التلميذ في التلفاز من أعمال عنف وعدوان وإساءة، فيتعلم سياسة القهر للآخرين، والاستبداد، والهيمنة عليهم وعلى حقوقهم الشرعية التي يكفلها لهم المجتمع .

- **المشاغبة وفقاً للنموذج النمائي (التطوري) :**

مما لا شك فيه أن الإنسان منذ مرحلة المهد إلى مرحلة اللحد يمر بعدة مراحل ارتقائية أو تنموية، بدءاً من كونه في مرحلة الرضاعة مروراً بالمراهقة وصولاً إلى الشيخوخة، ضعف ثم قوة ثم ضعف وشيبة. وتعد مرحلة الطفولة المبكرة إحدى المراحل التي يمر بها الفرد في حياته وهي المرحلة التي اعتدنا على تسميتها بمرحلة الحضانة أو رياض الأطفال وفيها تبدأ أسس شخصية الطفل في التشكيل بعد أن تم وضعها في مرحلة سابقة وهي الرضاعة. وكما أكد فؤاد أبوحطب وأمال صادق (١٩٩٩) فإن شخصية الطفل في هذه المرحلة لكي تنمو نمواً سليماً يجب أن تتجاوز أزمتين هامتين كما أشار " اريكسون " وهما أزمة الاستقلال الذاتي في مقابل الشعور بالعار والشك وأزمة المبادأة في مقابل الشعور بالذنب. ومن هنا فسلوك المشاغبة يبدأ من مرحلة الطفولة المبكرة حينما يبدأ الطفل بمحاولة تأكيد ذاته وقدراته ويحاول الاستقلال عن أبويه ومعرفة كل جديد، فيبدأ بالعناد ويمارس العدوان مع رفاقه خاصة في مرحلة التعليم قبل الابتدائي، فيستضعف رفاقه الأقل منه حجماً ويستأسد عليهم ومن ثم تقل هذه السلوكيات رويداً رويدا حتى تبدأ مرحلة الانتقال من الطفولة إلى المراهقة. والمراهقة هي مرحلة العواصف والضغوط والأزمات، وهي إحدى المراحل التي يعيشها الإنسان بحلاوتها ومرارتها، مرحلة لا يعتبر الطفل نفسه طفلاً بسبب ما طرأ على جسمه من تغيرات جسمية وفسيولوجية سريعة ومع ذلك ينظر إليه عادة على انه ما زال طفلاً وخاصة من جانب الأبوين والمعلمين. والمراهقة كما رأى خليل ميخائيل (٢٠٠٠) هي مرحلة عنيفة في حدة الانفعالات واندفاعها، فالمراهق يشعر بأن أسرته ومدرسته ومجتمعه لا تقدر موقفه ولا تحس بإحساسه الجديد، لذا فهو يسعى دون قصد لأن يؤكد نفسه بنفسه، بثورته وتمرده وعناده، فالبيئة تتصارع معه، وأفراد أسرته لا يفهمونه، وأصدقاؤه لا يقدرون قدراته ومواهبه، والمدرسة لا تعامله كفرد مستقل، ولا تشبع حاجاته الأساسية على حين هو يحب أن يحس بذاته وأن يكون شيئاً يذكر .فعندما يلتحق التلميذ بالمدرسة الثانوية وهو

بالتأكيد في طور المراهقة يشعر أن المدرسة كمجتمع لا تتوافق معه، ولا تقدره، فيشعر بأن أقرانه أقل منه ولا بد أن يشعرهم بقوته، وبالتالي تكون سلوكيات المشاغبة الجسدية واللفظية تحديدا وسيلة مثلى بالنسبة له لإظهار القوة والقدرة على السيطرة .